المأمون في خندق

أفكـر دائما وأسـأل نفسـى وأتســـاءل : لماذا لم يحقق الله حلم الإخـوان المسلمين بالـوصول الى السلطة.. أليســوا رجالـه.. لماذا أطلق عليها ذئاب عبد الناصر.. ولماذا فعل نفس الشيء فى حـزب النهضة الاسلامى فى تونس فترك الغنـوشى وأتباعـه لمبـاحث زين العابـدين بن على ومن قبلـه للحبيب بورقيبة.. وفى الجزائر أحبط أمال الحزب الاســلامى للإنقاذ وهو على وشك الفـوز بـالحكم.. وفى المغـرب لم يكن حزب العـدل والاحســان الاســلامى بأحسن حظا من اخوته ، وفى ســوريا وفى العراق لقى الاخوان مصـيرا أسوأ على المشانق والمقاصل وفى ظلام الزنازين..

لماذا لم يستخلفهم ربنا كما وعـد فى قرآنــه : «وعد الله الـذين آمنوا منكم وعملـوا الصـــالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذى ارتضـى لهم وليبـدلنهـم من بعـد خـوفهم أمنـا يعبـدوننى لايشركـون بى شيئـا » (٥٥ ــ النـور) أم أن شروط الآيـة لم تتوافرفيهم ؟ .أكاد أرى من هذه المحنة القدرية التى تكررت مرة بعد مرة .. ان الله يفضل لـلاسلام أن يحكم من خـلال أشواق النـاس وضمائرهم على أن يحكم من خلال جماعـة تصل الى السلطة بالقوة .. وانــه يريدللمسلمين أن يسلموا اليــه أحرارا وأن يقدمـوا عليه اختيارا بـوازع من نفوسـهم وليس بوازع من كربـاج الحاكم .. يريد للاسلام أن يكون وعيـا شخصيا وفرديا لا أن يكون قالبـا اجتماعيا صنعه الرعب . لايريـد الله للاسلام أن يأتى على ظهور الـدبابات ولا أن يجى انقلابـا مثل النازية والفاشيـة والبلشفيه كما رأيـناها تأتى فى المانيـا وايطاليـا وروسيا .. وإنما يـريده اقتنـاعا وايمانـا وتطـوعا ومحبــه . وقـد جـاء النبى (بلفظ القرآن) .. داعيـا الى الله بإذنــه

وسراجا منيرا . فـالاسـلام دعـوة لاثورة واسـتنـارة لاانقلاب . والله يعلم أن كراســى السلطة تغير الناس وتمسخ نفـوسـهم .. وما كـان لحاكم أن يصل الى الحكم دون اذن من الله ، فهو سبحانه ملك الملوك الذى لايتم على الأرض شـىء بدون مشيئتـه . والله يقول : « واتقونى ياأولى الألبـاب » لم يرد ربنا أن نتقى الحكـام ولا أصحـاب السلطـان .. ولقـد أخطأ التنظيم الأخـوانى حينما تحول من دعوة حـرة الى تخطيط صريح سرى ، ثم إلى تخطيط يتخذ العنف سبيـلا للوصـول الى السلطة .. فبـدأ العد التنـازلى لنهايتـه من ذلك التـاريخ . والله يعلم أن الفضيلة لايمكـن أن تأتى بقراروزارى ، وأن العفـة لايصنعها مرسوم ملكى ، وأن تقوى القلوب لن يحققها دستور . والله يريد تقوى القلوب لاتقوى الألسن ولانفاق الكلمات. الله يريد أن يكون ضميركل منا هـو حكومته.. ولا يـريد أبدا أن تكون ضمائرنـا مكبلة فى يد جبـار ولو كان هذا الجبار حاكما اسلاميا ولو كان نبيا ، ألم يقل لنبيه:

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال له:

« وما أنت عليهم بجبار » .

فإذا كان الله لم يـرد لنبيه أن يكـون جبارا وهـو الذى وصفـه بأنه على خـلق عظيـم.. فكيف يطلق علينـا بـاسم الاسلام جبـارة مـن سواد البشر العاديين.

ليت أعضـاء الجماعـات الاســلاميـة فى كل مكـان يكفـون عن تطلعهم للسلطـة ، ويكتفـون بالـدعـوة الى الله على بصيرة.. والى تحبيب النـاس فى الاسلام بأن يكونوا هم أنفسـهم قدوة ومثالا وأسوة.

ولـو فعلـوا ذلك لاختلفت الصـورة ولجنبـوا أنفسـهم الكثير من الفتن ولجنبوا الاسلام هذا الصراع الدامى الذى يهلك فيه الكل.

ولو أدرك الحكام أن صولجان الملك هـو قبس من جهنم لما تسابقت اليه الأيدى.

ألم يعرض الله الأمانة على السمـوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانســان؟ فماذا قال الله بحقه؟ قال:« إنه كـان ظلوما جهولا ». فقد ظلم نفسه وجهل حدوده حينما تصور أنه قادر على حمل تلك

الامــانة.. وهـى المسئـوليـة والحكم فى الارض خليفة عن الله.. وهــو الجاهل بمقدرات يومه وغده.

أى عـــروش من جهنم يجلس عليهـا أمثـــال ميتران وجـون ميجـــور وكلينتـون ويلتسين؟؟ حينما يطلقـون جميعـا يـد سفـاح الصرب ليـدك سراييفو بالمدافع والصواريخ ويحيل سكانها الثلاثمائة ألف الى أكبر مقبرة فى التـاريخ.. ثم يضغطون على الأمم المتحـدة حتى لاتسمح للمسلمين بأى مدد من الســلاح يدافعـون به عن أنفسهم !! أى كـراسى من أصل الجحيم يجلس عليها هؤلاء الناس ليحكموا بـالموت والحياة وليوقعوا مراسيم الظلم والقهر والبؤس والعذاب على الملايين بغير ذنب الا أنهم قالوا ربنا الله.

ويظن كل منهم ـــ وهو جاهل ـــ أنه بذلـك يعلى من شأن مسيحيته أو ينصر قوميته وهــو يخونها ويخون إنسانيته ويخون ديانتــه ويخون ربه ويهلك نفسه.

« ولكن أكثر الناس لايعلمون »

بل هم كالأنعام بل هم أضل.

والحمد الله أننـــا لانجلس على هذه الكـراسى.. ولانفكر أبـدا فى الجلوس عليها.. ولا فى الاقتراب من أهلهـا.. ولا فى مداهنـة أصحابها.. ليس تـواضعا ولكن وعيا وادراكا وخوفا والحمد لله.

وأرجو أن نظل مـدركين لعجزنا وقصـورنا طول الـوقت ، وأن يديم الله علينا رحمته تلك.. فمن أعظم نعم الله على العبد أن يعرفه بحدوده.

اعـرف عـدوك

بادرت أمريكا الى تهديد الصين بفرض العقـوبات الاقتصادية عليها اذا مضت فى صفقـة بيع الصـواريخ لباكستـان . وبـاكستـان لاتهدد أمريكـا ولاتهدد مصالحهـا وإنماهى مجرد دولة اسلاميـة تريـد أن تحمى نفسها من الجار الهنـدى .. ومذابح المسلمين على يـد السيخ والهندوس نقـرأ عنها كل يوم . ولكنه محظور فى هذا الزمـان ياأخوه على أى بلد اسلامى أن يدافع عن نفسه أو يحمى بيته ولو تعرض للذبح والتشريد والإزاله .

وليبيا ضربت بالطائرات لمجرد شبهـة فى أنها تصنع سلاحا كيميائيا ..

والعراق تضرب كل يوم بالأحذية بالإضافة الى الصواريخ لأن هناك شكوكا فى بقايا سـلاح هنا وهناك .. وايران تهدد بالويل والثبـور وعظائم الأمور لأن هناك شـائعات بأبحـاث نوويـه طى الكتمان .. واذا كان لابـد من بيع شىء من فـائض السلاح للخليج (لتشغيل المصـانع الأمريكية وحـل أزمة البطالة) فالتعليمات تقضى بأن تكون الأسلحـة درجة تالته ومن فضلات المخـازن التى مضى أوانها .. أمـا الحبيبة اسرائيل فلهـا رخصـة مفتوحـة بـالعدوان المستمـر على جـاراتها وعلى دك القـرى اللبنانيـة والفلسطينيـة بـالقنـابل كل يـوم رغم قـرارات الأمم المتحـدة .. ومعهـا رخصـة لتعلية ترسـاناتها النـووية والكميائيـة والميكروبية والتقليـدية .. وأكثـر من هذا تحول اليها أمريكا فوائض ترسانتهـا العسكرية لتخزينها فى أراضيها .. ثم أكثر من هـذا تحاط علما بكل جديد وسرى من المخترعـات المتطورة .. وبكل سرى وجـديـد فى استطـلاعـات الأقمار الصنـاعيـة الامـريكيـة وأدوات الاستشعـار عن قـرب وعن بعـد . ولا تفسير لهـذا الكـرم الحاتمى والتـوسعـة من الجانـب الأمـريكى لـلأخت اسرائيل فى مقـابل الاذلال والتضييق والحصار لكل بلد اسلامـى واباحة دم المسلمين لكل معتد الا أن يكون فى المخطط الأمريكى اعطاء المنطقـة العربية (شـقة تمليك) للعـزيزة اسرائيل (المنطقة العربية كلها بمافيها من بشر وبقر)

●●●

ولا أظن أن أمريكا سوف تعرض نفسها لصراعات لاتنتهى مع ٤٧ دولة اسلاميـة على اتساع رقعة العالم فى محاولـة لملاحقة أى انتفاضة اسـلامية هنا وهناك . ولاشك أن المضى فى صناعـة ٤٧ مشكلة مع ٤٧دولة اسلامية لأن هـذه تشترى صواريخ وتلـك تبتاع غـواصـات وتلكما تتساومـان على امتلاك قـاذفات قنـابل .. سـوف يؤدى الى صداع مـزمن للعـزيزة أمـريكا وتبـديد للـوقت هـى فى غنى عنـه . ومن بـاب الاقتصاد البحت .. اقتصـاد الوقت .. واقتصـاد المال .. واقتصاد الجهد العصبى .. سوف تفكـر أمريكا وربيبتهـا اسرائيل ومعهما المعسكر الاوروبـى كله (وعـداوتـه للاسـلام ظهـرت فى مذابـح البوسنـة) .. سـوف يفكر الكل فى معـالجة المشكلـة من

رأسها بحل نهائى . ورأس الاسلام هو الكعبة المشرفة والحرم النبوى الشريف والمسجد الاقصى . وقطع الرأس وكسر عين المسلمين كلهم فى عملية واحدة سوف يوفر الكثير وينهى المشكلة ويخلص العالم من الصداع الاسلامى الذى يؤرقه (والصواريخ يمكن أن تطول من بعيد أى شىء) وهذا الكلام يوافق مزاج أهل التلمود وأحلام يهود البروتوكولات .والانتقام لما فعله النبى باليهود فى خيبرموجود فى كتبهم وهو منتهى أملهم . ترى هل يفكر الحكام فى المملكة العربية السعودية فى هذه الاحتمالات أم يرونها هذيانا؟!! مجرد سؤال .. ؟ !! والذين يقولون إن امريكا لايمكن أن تقامر بالبترول فى سبيل أى هدف .. اقول لهم : ومن قال أنها ستقامر بالبترول.. الا يقع بترول المنطقة كله الآن فى يدها وفى منطقة نفوذها محاطا بقواعدها وبوارجها وفى مجال اسطولها السادس ؟!! والذين يقولون أن امريكا والدول الأوربية لايمكن أن ترتكب أمثال تلك الحماقات .. أقول لهم .. وضرب سراييفو وشعبها الاعزل وتحويلها الى مقبرة على مشهد من العالم .. أليس حماقة ؟؟ ! وضرب العراق بالصواريخ على مؤامرة وهمية لم تحدث أليس حماقة .. وتهديدها بضربها مرة أخرى بالصواريخ اذا لم تضع الكاميرات هنا وهناك فى ارضها وبيتها أليس حماقة ورزالة ؟! ونزول امريكا على شاطىء الصومال فى بعثة احسان لإطعام الجياع ثم مطاردتهم بالقنابل والرشاشات أليس سفالة .. واستباحة الاراضى اللبنانية لقنابل وطائرات اسرائيل أليس اجراما .. ألا نعيش فى عصر النذالة والاجرام قولا وفعلا ؟؟ !! الم يحاولوا حرق المسجد الاقصى من قبل ؟ ! مجرد سؤال للتفكير وتقليب وجهات النظر .. ؟ !! والاحتياط للبلاء قبل نزوله واجب ، وما فعله جيش أبرهة قبل أربعةعشر قرنا من الزمان.. ممكن أن يحدث مرةأخرى بأدوات اكثر بطشا ، وهناك صواريخ الآن ممكن أن تدمر بأكثر مماتفعل أفيال الحبشة. وهناك الآن من هم أكثر عداوة للاسلام من أبرهة وقومه . ويقول ربنا : « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » (١١٨ .. آل عمران) وهو ماتراه بالفعل .. ونقرؤه فى الصفحات الأولى من جرائد كل يوم .. اننا أمام غطرسة عجيبة وغرور بالقوة وزهو

وتتعجل تلك الحرب ، لأن الزمن زمـانها والرياح تهب على هواهـا.. فالدول العربيـة منقسمة على نفسها لا تجتمع لها كلمـة والقواعد الأمـريكية تجثم على أراضيهـا والفقر والـديون والمشـاكل تجثم على أكثرهـا ، والدائن هـو أيضـا السيد الأمـريكى.. والعـراق تحت الحذاء الأمـريكى وليبيا مطـاردة ومطلوبـة للتحقيق وسوريا مهـددة بأنه لها مـاض فى الارهاب.. والمجتمع الدولى كلـه فى صف اسرائيل.. والكل فى جيب أمريكـا التى انفردت وحـدها بالعـالم تفعل به ما تشـاء وقد اختصت اسرائيل وحـدها بالحب وبـالدعم المادى والمعنوى والعسكرى وضمنت لها التفـوق فى العتاد الحربى على كل الـدول العـربية مجتمعـة وضمنت لها جسـور تموين مفتـوحـة فى جميع الأوقات.

وفى مثل تلك الحالة من عـدم التكافؤ تصبح أى حـرب نزهة مضمـونة بـالنسبـة لاسرائيل ،ولهذه الأسبـاب مجتمعـة تتمنى اسرائيل أن نبـدأهـا بعدوان.. أى عدوان ولو بضعة صواريخ كاتيوشا.

وفى الحقيقـة إن من يحارب اسرائيل الآن سـوف يحارب امـريكـا ذاتها وربما الأمم المتحَدة معها.. ولهذا فالجهاد عندى له معنى آخر فى هذا الزمن الـرديء.. أنه الصـبر والمصـابـرة وبناء القـوة الـذاتيـة وتنمية الاقتصـاد واصلاح التعليم وبناء سد بشرى فى سينـاء بتعميرها وجمع الكلمة العربية فاذا لم تجتمع فيكفى أن تجتمـع سوريا ومصر فهـذا الثنائى هـو الكماشة التى كانت دائما قادرة على تغيير التاريخ.

وأول بند فى القوة الـذاتية هو تطوير الصـواريخ بأنـواعها ونظم الرادار المتنقل واستيراد الخبرة المطلوبة فى هذه الأسلحة من جميع مظانها.

ثم الجهـاد الـدبلـومـاسي لنفتـح لنـا نـوافـذ على الصين وعلى الـدول الاسيوية.. والتنسيق مع أيران فى المواجهة التى تستهدف الوطن الاسلامى كله.

ثم الجهاد الاعلامى لاحباط التامر والفتن.

ثم الجهاد الأخلاقى واصلاح الحال مع الله وطلب المدد منه.

لقـد قـال نبينا العظيـم لمن جـاءه يبكى يـريـد أن يـذهب ليقـاتل مع المقـاتلين: ألك أم ؟

قال الرجال.. نعم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: فجاهد فيها.. بهذا المعنى يتسع معنى الجهـاد فيصبح الابن الـذى يكـافح ليطعم أمـه ويخدمهـا ويـرعـاهـا فى شيخوختها مجاهدا، كالذى يخرج للقتال فى الغزوات.

بل إن جهـاد النفس هـو فى ديننـا الجهـاد الأكبر ، وفى الحروب اختيـار التوقيت هو أساس النصر.. والحكمة هى أداة الغلبة.

والـوقت الآن ليس وقتنـا والجهـاد بـالسـلاح لم يأت أوانـه.. ولكن لن يطول الانتظار فسوف يتغير اتجاه الرياح.

والـذى بيده تصريف الـرياح وهـو ربنـا تباركت أسماؤه سـوف يغير اتجاهها.. فلن تظل أمريكا على القمة ولن يظل اقتصادها على القمة فأمريكا بناء عظيم ولكنه يتـآكل من داخله وهى فى شيخوختهـا وليست فى صباها.. ودوام حالها أصبح من المحال.

وقد أرانا الله اياته فى روسيا التى أمـاتها وهى واقفة وعلى ظهرها قنابل تكفى لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات.

ورأيناها تزحف وتتسول ويحارب بعضها بعضا ويأكل بعضها بعضا.

حدث كل هذا دون أن تطلق عليها رصاصة من عدو.

ان معنى الجهاد فى الاسلام واسع وعظيم.

فلنجـاهد أولا فى أمنـا مصر فإذا نجحنـا جاهـدنا فى الأم الأكبر.. الأمـة العربية.. ثم الأمة الاسلامية..

وثقوا بالنصر.. ولكـن النصر له سننه.. وله خطـواته.. وسوف يجىء فى وقته.

فلنبدأ حربنـا خطوة خطوة وكل خطوة بمـواصفاتها.. وعلى مهلكم.. ولا تعطوا اسرائيل سـلاما ولا حربا ولا سـوقا شرق أوسطية ولا أمنا ولا أمـانا ولا تنهوا مقاطعتكم لمنتجاتها.